



المحاضرة الرابعة والخامسة عشر

التدريسي فؤاد المياحي

مراحل الدعوة السرية والعننية

أهداف الدرس:

1. لتعرف على مراحل الدعوة الثلاث للنبي محمد صلى الله عليه وآله:
 - فهم المرحلة الأولى: السرية في الدعوة.
 - فهم المرحلة الثانية: دعوة الأقربين.
 - فهم المرحلة الثالثة: الدعوة العامة.
2. فهم أهمية الصبر والثبات في الدعوة:
3. التعرف على دور العائلة والأقارب في دعم الدعوة:
4. فهم أهمية الإعلان عن الدعوة والمواجهة مع المعارضين

نزل الأمين جبرئيل مبشراً للنبي الأكرم بالنبوة والرسالة ، وألقى على عاتقه مقاليد مهامها هداية الأمة ، التي يصورها قوله سبحانه : (**إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَقِيلاً**) (المرّمل / ٥) .

وقوله سبحانه : (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ**) (المدثر / ١ - ٣) وأي مسؤولية أثقل من مسؤولية هداية الأمة الغارقة في ظلمات الجهل وأحوال عبادة الأصنام والأوثان ، المنغمسة في الدنيا ، المعرضة عن الآخرة ، فقام الرسول مؤدياً رسالته مستضيئاً بهدى الوحي قد قطعت رسالته مراحل ثلاث حتى تكلمت بالنجاح وبلغت الغاية المنشودة ، و إليك تبين هذه المراحل التي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع متفرقة .

المرحلة الأولى : السرية في الدعوة

اتَّخَذَ الرسول الدعوة السريّة خطوة أولى خطاها في سبيل تحقيق إنجاز الدعوة الإلهيّة ، و لم يكن الغرض من التركيز على السريّة في الدعوة الخوف على نفسه وصيانتها من كيد الأعداء ، بل هذه الخطة الرائجة بين الدعاة المخلصين ، فلا يجهرون بالدعوة ، و لا يعلنونها بادئ بدء ، بل يبدأون بعرض الدعوة سرّاً على الأفراد الذين يطمئنون لهم - و لأجل ذلك - بدأ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بالدعوة السريّة إلى الإسلام فدخل تحتها عدّة من الشباب ، فتعلّموا الفرائض والسنن سرّاً وكانوا يذهبون إلى شعاب مكّة فيقيمون الفرائض فيها.

وهذه الثلّة القليلة التي تشرّفت باعتراف الإسلام ، هم الذين يعبر عنهم القرآن الكريم بقوله : (**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**) (الواقعة / ١٠ و ١١).

فكان النبي الأكرم يعرض دعوته على من يتفرّس فيه علائم قبول الإسلام ولذلك لمّا هبط من غار حراء عرضه على زوجته خديجة وابن عمّه علي ، وقد تمكّن الإسلام بذلك في قلوب عدّة سجّلت أسماؤهم في التاريخ (مثل زيد بن حارثة و عثمان بن مظعون وقدامة بن مظعون وغيرهم. يقول ابن هشام في تفسير قوله : (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته ، من النبوة فحدّث أي اذكرها ، فادع إليها ، فجعل رسول الله يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله.

اتّخاذ النبي دار الأرقم مركزاً لنشر الدعوة.

كان النبي يؤدّي رسالته مستخفياً من قريش بمكّة و يعرض الإسلام لمن يطمئن إليه ، وقد ألجأته الظروف إلى اتّخاذ بيت لتبليغ تعاليمه ، وإقامة المؤمنين فيها فرائضهم ، وقد وقع الإختيار على دار الأرقم بمكّة على الصفا مركزاً لهذه المهمة فدخل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه مستخفين فيها بعد وقوع الصدام بين سعد ابن أبي وقاص وبعض المشركين ، فكان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه يقيمون الصلاة بها ويعبدون الله فيها إلى أن أمره الله تعالى بالإعلان عنها ، فامتثل صادقاً بما أمر ، وقد اختلفت كلمة أصحاب السيرة في مدّة هذه المرحلة **بين ثلاث سنين إلى خمس سنين** ، كما اختلفوا في مدّة اقامتهم في **دار زيد بن الأرقم** بين كونه **شهرًا** أو **أزيد** ، كما اختلفت كلمتهم في عدد المؤمنين بالنبي في تلك المرحلة فقد أنجاه ابن هشام في سيرته معتمداً على سيرة ابن إسحاق بما يربو على خمسين بين رجل وامرأة و إن كان الأكثر هم الرجال ، ولأجل أن يقف القارئ على هؤلاء الأشخاص وأسمائهم نستعرض ذكرهم إجمالاً على النحو التالي.

- ١ - خديجة بنت خويلد (زوجة النبي) . ٢ - علي بن أبي طالب . ٣ - زيد بن حارثة .
- ٤ - أبو بكر . ٥ - عثمان بن عفان . ٦ - عبد الرحمن بن عوف . ٧ - الزبير بن العوام . ٨ - سعد بن أبي وقاص . ٩ - طلحة بن عبيد الله . ١٠ - أبو عبيدة . ١١ -

أبوسلمة. ١٢ - أرقم. ١٣ - قدامة بن مظعون. ١٤ - عبد الله بن مظعون. ١٥ - عبدة بن الحارث. ١٦ - سعيد بن زيد.

المرحلة الثانية : دعوة الأقربين

إجتازت الدعوة المحمّدية المرحلة السريّة إلى مرحلة ثانية بعد ما أمن به جماعة من قريش وغيرهم ودخل الناس في الإسلام آحاد من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكّة ، فتحدّث به القريب والنائي ، فعندئذٍ أمر سبحانه بدعوة الأقربين ، بقوله : (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاحْضِرْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**) (الشعراء / ٢١٤ - ٢١٦) .

إنّ المعالجة والمسارة لدعوة العشيرة الأقربين قبل البدء بإعلان الدعوة العامّة يمكن أن يكون فيها سرّ إجتماعي وتوضيحه بما يلي :

أولاً : إنّ النبي الأكرم كان مطلعاً على أنّ قومه سوف يجابهونه بالعنف والشدة ويتأمرون للقضاء عليه قبل تمكّنه من تحقيق أمنيته ، فصيانة الدعوة من مكائد الأعداء مرهونة بوجود قوّة داخلية تحصّنها من غوائلهم ولا يمكن تصوّرها إلا في قومه وعشيرته من آل هاشم.

وثانياً : إنّ إنقياد قومه لدعوته وعشيرته لدعوته لدليل واضح على قداسته ونزاهته وصدق كلامه وأنهم ما رأوا منه إلا الصدق والصلاح طيلة أربعين سنة ، فأجابوا دعوته وصدقوا كلامه. فإنّ الإنسان مهما كان فطناً مهتماً بستر عيوبه وزلاته لا يتمكّن من سترها عن بطانته وخاصّته ، فإيمان البطانة وقبولهم دعوته دليل واضح على صفاء سريره ، فلأجل ذلك بدأ بدعوة العشيرة قبل إعلان الدعوة العامّة ، وهذا بطبيعة الحال يكون مؤثراً في إعداد الأرضية الصالحة لقبول المرحلة الأخرى.

وبعبارة ثانية : إنّ ضمان نجاح المصلحين في الدعوة العامّة يكمن في نجاحهم في دعوة اسرتهم ، فلو افترضنا أنّ الداعي لم ينجح في دعوة اسرته ، يكون حظّ نجاحه في الدعوة العامّة طفيفاً لأنّ رفض الأسرة لدعوة المصلح وعدم إيمانها به ، سوف يتخذ ذريعة إلى تقوّل الآخرين وسخريتهم بأنّه لو كان الصادع محقّاً في كلامه فاسرته أولى بقبول دعوته.

إنّ كتب السيرة تذكر أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) خاطبهم في هذا الإجتماع بقوله : « إنّ الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو ، إنّني لرسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة ، والله لتموتنّ كما تنامون ، ولتبعثنّ كما تستيقظون ، ولتحاسبنّ بما تعملون ، ولتجزونّ بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، فإنّها الجنّة

أبداً والنار أبداً. يا بني عبد المطلب ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل ممّا جنتكم به إنّي قد جنتكم بخير الدنيا والآخرة » ،

فتكلّم القوم كلاماً لئناً غير أبي لهب ، فإنّه قال : « يا بني عبد المطلب هذه والله لسوأة خذوا على يديه وامنعوه عن هذا الأمر بحبس أو غيره قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فإن التمسوه حينئذ ذلّتم و إن منعتموه قتلتم » ، فقالت أخته صفية عمّة رسول الله أمّ الزبير : « أي أخي ! أيحسن بك خذلان ابن أخيك ؟ فو الله ما زال العلماء يخبرون أنّه يخرج من ضنّضئ (الأصل) عبد المطلب نبي فهو هو » قال أبولهب : « هذا والله الباطل والأمانى ، وكلام النساء في الحجال ، فإذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها بالكلاب فما قوتنا بهم ؟ فو الله ما نحن عندهم إلّا أكلة رأس » ، فقال أبوطالب : « والله لنمنعنّهم ما بقينا »

وهل النبي خطب بهذه الخطبة في الدعوة الأولى أو الثانية ؟ فلو صحّت فهي بالدعوة الأولى ألصق لما تضافر أنّ أبالهب لم يكن مدعوّاً في الدعوة الثانية ، و يظهر من سيرة زيني دحلان أنّه خطب بها في الدعوة الأولى ، فلمّا أصبح رسول الله بعث إلى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب ، فلمّا أخبرهم بما أنزل الله عليه ، أسمعهم أبولهب ما يكره وقال : **تبّاً لك ، ألهذا جمعنا ؟** وأخذ حجراً ليرمي به ، وقال : ما رأيت أحداً جاء بني أبيه و قومه بأشرف ممّا جنتهم به ، فسكت رسول الله ولم يتكلّم في ذلك المجلس.

الدعوة العامة وكسح العراقيل الماثلة أمامه

كان للدعوة السرية أوّلاً ودعوة الأسرة ثانياً دور خاص في استقطاب لفيق من الناس واستمالة قلوب طائفة منهم إلى الإسلام ، وقد أوجد هذا الإقبال أرضيةً صالحةً لمرحلة الثالثة من الدعوة وهي التي يصحّ وصفها بالدعوة العامّة ، وكانت تهدف إلى توسيع نطاقها ، فقام النبي الأكرم بها امتثالاً لقوله تعالى : **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحج / ٩٤)**.

إنّ هذه الآية تناسب الدعوة العامّة بقريظة قوله : **(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر / ٩٥)**.

نقل الطبري عن سعيد بن جبيرة أسماء المستهزئين برسول الله وهم خمسة : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو زمعة ، والحرث بن عيطلة ، والأسود بن قيس ، وكلّهم هلكوا قبل بدر

خطبة النبي في بدء تلك المرحلة ،:

دعا النبي جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال : إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من صفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبوني ؟ قالوا : و الله ما جرّبنا عليك كذباً ، فقال : « يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فإني لأعني عنكم من الله شيئاً إنّي لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد » .

اسئلة نموذجية عن مراحل الدعوة للثلاث للنبي محمد صلى الله عليه وآله:

- ١ . ما هي المرحلة الأولى من مراحل الدعوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله؟
- ٢ . كم استمرت المرحلة الأولى من الدعوة؟
- ٣ . من هو أول من أسلم من الرجال بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله؟
- ٤ . ما هو الأمر الذي أمر الله النبي محمد صلى الله عليه وآله في المرحلة الثانية من الدعوة؟
- ٥ . من هو الذي أعلن إيمانه ودعمه للنبي محمد صلى الله عليه وآله في المرحلة الثانية؟
- ٦ . ما هي المرحلة الثالثة من مراحل الدعوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله؟
- ٧ . أين دعا النبي محمد صلى الله عليه وآله الناس في المرحلة الثالثة؟
- ٨ . ما هي الدروس والعبر التي يمكن استخلاصها من مراحل الدعوة الثلاث؟
- ٩ . كيف واجه النبي محمد صلى الله عليه وآله المعارضة والاضطهاد في المرحلة الثالثة؟
- ١٠ . ما هو دور العائلة والأقارب في دعم الدعوة؟

المصادر

- ١ . القرآن الكريم:
- سورة الشعراء، آية ٢١٤-٢١٦ (دعوة الأقربين)
- سورة الحجر، آية ٩٤-٩٥ (الدعوة العامة)
- ٢ . السيرة النبوية السيد نبيل الحسني.
- ابن هشام، السيرة النبوية
- ابن كثير، البداية والنهاية
- ٣ . تاريخ الطبري:
- تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٦
- ٤ . كتب الحديث:
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- ٥ . كتب التفسير